661654 ـ كيف أتوب من نقض العهد مع الله؟

السؤال

لقد عاهدت الله عز وجل على جهاد نفسي، ثم أصبحت أجاهد نفسي فترة قصيرة، ثم أعود لما كنت عليه، وبعد فترة من الزمن أتذكر العهد الذي عاهدته لله تعالى فأحاول أن أجاهد نفسي، وأيضا انتكس بعد فترة قصيرة، وأنا على هذا الحال منذ أن عاهدت الله، فكيف أتوب إلى الله عز وجل، وما الذي علي فعله كي أكون قد جاهدت نفسي ونفذت عهدي مع الله تعالى؟ كيف أثبت على ذلك؟
وهل أنا من الذين قال الله عنهم وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ التوبة/75؟

ملخص الإجابة

المأمول من كرم الله أن ينجيك من حال أهل النفاق، وخصالهم، فبادر بالتوبة النصوح، واستقم على أمر الله وعهده، وكن بين خوف من مقام الله، يحجز بينك وبين معصيتك، ورجاء في رحمة الله، يدفعك إلى طاعته، والوفاء بعهده.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

ينبغي على المسلم أن يحذر من مسألة العهد ، فمعاهدة الله على فعل شيء أو تركه ليست بالأمر الهين ، فصاحب العهد مأمور بالوفاء ، ومتوعد بالعقوبة إذا هو أخلف ذلك العهد ، قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) الإسراء / 34 ، وقال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) التوبة /75 – 77 .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : " فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع ، أن يعاهد ربه ، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا ، ثم لا يفي بذلك ، فإنه ربما عاقبه اللّه بالنفاق ، كما عاقب هؤلاء " انتهى من " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (ص/345) .

وقال ابن قدامه رحمه الله في " المغني " (9/401) : " قال أحمد : العهد شديد في عشرة مواضع من كتاب الله : (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) ، ويتقرب إلى الله تعالى إذا حلف بالعهد وحنث , ما استطاع ، وعائشة أعتقت أربعين رقبة , ثم

تبكي حتى تبل خمارها , وتقول : واعهداه " انتهى.

وينظر جواب السؤال رقم (187335)، ورقم (469707).

ثانيًا:

ينبغي على الإنسان ألا يبادر بالحلف أو النذر أو معاهدة الله ، وإذا أراد أن يلزم نفسه فليزمها بدون معاهدة الله أو حلف أو يمين، ثم يدعو الله أن يوفقه للخير.

قال الله تعالى: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) المائدة/ 89 . من معاني الآية : لا تكثروا الحلف بالله، وأقِلّوا من الأيمان. وهذا أحد معاني الآية، وانظر الخلاف في تفسيرها: زاد المسير (1/ 581).

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: "في قوله: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) ما المراد بحفظ اليمين: هل المراد: لا تكثروا الحلف بالله؟ أو المراد: إذا حلفتم فلا تحنثوا، أو المراد: إذا حلفتم فحنثتم فلا تتركوا الكفارة؟

الجواب: المراد كلها" انتهى من "القول المفيد" (2/455).

وقال في الشرح الممتع (15/ 207):

"وحكم النذر مكروه، بل مال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إلى تحريمه؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم نهى عن النذر، وقال: إنه لا يأتي بخير رواه البخاري (6608)، ومسلم (1639)، وأنه لا يرد قدراً، ولو شاء الله أن يفعل لفعل، سواء نذرت أم لم تنذر، وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عنه، وبيَّن أنه ليس فيه فائدة لا شرعية ولا قدرية، لا شرعية فهو لا يأتي بخير، ولا قدرية فهو لا يرد قدراً، فإن القول بتحريمه قوي" انتهى.

ثالثًا:

إن كنت قد تلفّظت بقولك: (عاهدتُ الله)، فإن هذا يأخذ حكم اليمين أو النذر.

وإن كان عهدك مجرّد حديث نفس، أو نية لم تُلفَظ، أو عزم لم يخرج بصيغة قول؛ فلا يكون نذرًا ولا يمينًا، ولا يترتب عليه حكم شرعي، ولا يلزمك به شيء.

ينظر: جواب السؤال: (224072)، (429536)، (605050).

رابعًا:

قال الله تعالى: وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ التوبة/75-77

ولا شك أن هذا وعيد عظيم جليل، حري بالعاقل الناصح لنفسه: أن يحذره على نفسه، مهما كان أمره. ولهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم: يخافون النفاق كله على أنفسهم، ويحذرونه أشد الحذر.

والآية الكريمة: نزلت في شأن جماعة من المنافقين، وصف الله صفتهم، بأنهم عاهدوا الله جل جلاله، ثم تولوا عنه، وأعرضوا عن طاعته، والوفاء بعهده.

قال الإمام الطبري، رحمه الله: "ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم = (من عاهد الله) ، يقول: أعطى الله عهدًا (لئن آتانا من فضله) ، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالا ووسَّع علينا من عنده (لنصدقن)، يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربُّنا = (ولنكونن من الصالحين) ، يقول: ولنعملنّ فيها بعَمَل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله.

يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وأتاهم من فضله = (فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به) ، بفضل الله الذي آتاهم، فلم يصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق الله = (وتولوا) ، يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله = (وهم معرضون) ، عنه.

(فأعقبهم) الله = (نفاقا في قلوبهم) ، ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدُوا الله، ونقضهم عهدَه في قلوبهم = (إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) ، من الصدقة والنفقة في سبيله = (وبما كانوا يكذبون) ، في قيلهم، وحَرَمهم التوبة منه، لأنه جل ثناؤه اشترط في نفاقهم أنَّه أعقبهموه إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا". انتهى، من "تفسير الطبري" (14/369-370).

انظر: ابن كثير (4/183)، تفسير السعدي (ص: 345).

وهذا الوعيد التام لأهل النفاق، ومن سلك سبيلهم: إنما هو لمن جمع تلك الخصال كلها، وأعظمها خطرا، وأشدها أثرا في وعيدهم: ذلك الشك والتكذيب الكامن في قلوبهم.

قال أبو قلابة رحمه الله: «وإن النفاق كان ضروبًا، ثمّ تلا: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ [سورة التوبة: 75]، وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ [سورة التوبة: 61] وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ [سورة التوبة: 58]، فاختلف قولهم واجتمعوا في الشكّ والتكذيب». رواه الدارمي في "مسنده" (رقم 101)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (9/184).

ونحن نرجو الله جل جلاله: أن ينفعك الله بهذه المخافة، وأن ينجيك من المنافقين، وأعمالهم، وصفاتهم، ومآل أمرهم.

لكن المؤمن لا ينفك أمره كله من المخافة مما يغضب الله، والرجاء فيما عند الله.

ومما يخافه المؤمن العاقل، الناصح لنفسه: النفاق كله، وخصاله كلها، ومآل أهله.

قال الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه" صحيح البخاري (1/ 43): «وقالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلاثِينَ مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَخافُ النِّفاقَ عَلَى نَفْسِهِ، ما مِنْهُمْ أَحَدٌ يقول: إِنَّهُ عَلَى إِيمانِ جِبْرِيلَ وَمِيكايِلَ.

وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ: ما خافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلا أَمِنَهُ إِلَّا مُنافِقٌ». انتهى.

ومن خاف شيئا: ترك، وترك السبيل الموصلة إليه، وسبيلك في النجاة من تلك الخصلة: أن تجاهد نفسك على الوفاء بعهد الله كله، وميثاقه الذي واثقت ربك، منذ كنت مؤمنا به؛ ألا تعقد القلب على عصيانه، ومخالفة أمره؛ بل توطن نفسك على أن يكون أمرك كله طاعة لله، كما أمر الله، ولن تحصي ذلك ولن تطيقيه دائما، وفي أمرك كله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

روى الإمام أحمد في "المسند" (37 / 60)، وابن ماجه (277): عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ).

فاستقم على عهد الله، وميثاقه، وأمره. ومتى غلبتك نفسك على شيء، فبادر بالتوبة، ولا تؤجلها، ولا تسترسل في ذنب، لا تدري، لعل الله أن يقبضك عليه، فتخسر نفسك. ولا تقنط من رحمة ربك، بل فر إليه، منه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عز وجل قَالَ: (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تبارك وتعالى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ. قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ). رواه البخاري (7507) ومسلم (2758).

والله أعلم.